

# نقد الهمزية

للشيخ محمد بن الأنين بوخبزة

(نقلها إلى الورد الأستاذ عمر الحدوشي)

بسم الله الرحمن الرحيم

للشرف البوصيري الشاعر المفلق الشهير ديوان شعر مطبوع يشتمل على قصائد في المديح النبوي اشتهر منها ثلاثة: (الهمزية)، و(البردة)، و(المضرية) ، وقد اعتنى العلماء والأدباء بتلك القصائد فشرحوها وعارضوها وخمسوها الخ. وقد كتب علماء الدعوة من السلفيين في انتقاد السمة الغالبة على أشعاره ولا سيما البردة، وهو الغلو الفاضح، والإطراء القادح، المفضي أحياناً إلى الشرك الواضح. ولكن اهتمامهم انصب على البردة، فانتقدها كثيرون أما (الهمزية) فلم أر من تتبعها بالنقد والتنبيه، وهي لا تقل ضرراً عن رصيفتها (البردة)، ومعلوم ما للناس وخصوصاً المغاربة من الاعتقاد البليغ في القصيدتين، حتى إنهم يقرؤونها على الأموات مع القرآن. مع الاحتفال بذلك وتعظيم قرائنها وإيثارهم بالعطاء ووضع بعض المغفلين مؤلفاً في خواص أبيات البردة إلى أنواع أخرى من الغلو النابع من الاعتقاد. وقد عنّ لي أن أكتب تنبيهات نافعة-إن شاء الله تعالى-على بعض ما ينتقد من أبيات الهمزية. سواء ما يتعلق منها بالسيرة النبوية أو العقيدة.

١- قال يخاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

لم تنزل في ضمائر الكون تخننا \* \* ر لك الأمهات والآباء

ثم قال:

وبدا للوجود منك كريم \* \* من كريم آباؤه كرماء

وهو في البيتين يشير إلى نجاة آباء النبي غ ، وهي مسألة نالت من اهتمام المتأخرين ما لم تنله أمهات مسائل العقيدة، فأجمع جمهورهم على نجاة آبائه غ ، وأنهم ماتوا

على التوحيد حتى ألف الجلال السيوطي في هذه المسألة بخصوصها خمسة تأليف التزم أن لا يذكر في أحدها ما ذكر في الآخر، تعالماً واستعراضاً للعضلات، والمسألة من الوضوح بمكان حيث إنه غ تولى حسمها بنفسه فقال لمن سأله عن مصير أبيه قال: (في النار). فلما أدبر السائل ناداه فقال: (أبي وأبوك في النار). وهذا في (صحيح مسلم) ، وروى أحمد وابن أبي حاتم وابن جرير والطبراني وغيرهم في روايات كثيرة. تراها في (تفسير ابن كثير) ، وابن جرير و(الدر المنثور). في تفسير آية: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم). مفادها أن النبي غ استأذن ربه في زيارة قبر أمه فأذن له، ثم استأذنه في الاستغفار لها فلم يؤذن له، فبكى غ بكاء مُراً رحمة لأمه، والحديث صحيح، وتطورت المسألة مع الزمان حتى أدخلت في العقائد وأصبح من يعتقد عدم نجاة آبائه غ مدخول العقيدة، ومن ذبول هذه المسألة الزائفة تخرج الناس ولاسيما في المغرب من قراءة سورة المسد (تبت يدا أبي لهب)-لأنها كما زعم لهم علماؤهم تؤذي النبي غ. وهذا كما ترى منتهى الضلال والعياذ بالله.

## ٢-قال في البيت الثاني:

وتوالت بشرى الهواتف أن قد \* ولد المصطفى وحق الهناء  
وتداعى إيوان كسرى ولولا \* آية منك ما تداعى البناء  
وغدا كل بيت سار وفيه \* كربة من خمودها وبلاء  
وعيون للفرس غارت فهل كا \* ن لنيرانهم بما إطفاء

وقد تضمنت هذه الأبيات ما يسمونه: إرهاصات النبوة. أي: آيات تتقدمها، وهي بشرى الهواتف من الجن والملائكة، والهاتف: ما يسمع صوته ولا يرى شخصه. وتداعى إيوان كسرى بالمداخن ليلة مولده، وسقوط أربع عشرة شرفة منه، وخمود نار فارس المعبودة للمجوس. وهذه الإرهاصات لا يصح منها شيء، كغالب ما يروى من أخباره غ قبل البعثة، ولم يصح من ذلك إلا رؤيا أمه أن قد خرج منها نور أضاءت له قصور الشام بئسرى. رواه أحمد وغيره بسند صحيح.

وقد أشار إليها البوصيري بقوله-البيت الثالث:

وتراءت قصور قيصر بالرُّ \* وم يراها مَن داره البطحاء

على ما في كلامه من تزييد وغلو لأن المسألة كما في الحديث كانت رؤيا منامية، فلم يكن هناك من يرى قصور قيصر بالشام من بطحاء مكة.

قال-البيت الرابع:-

رافعاً رأسه وفي ذلك الرفـ \* ع إلى كل سؤدد إيماء  
رامقاً طرفه السماء ومرمى \* عين مَن شأنه العلو العلاء  
وتدلت زُهر النجوم إليه \* فأضاءت بضوئها الأرجاء

وقد تضمنت هذه الأبيات من الإرهاصات: أنه غ نزل من بطن أمه رافعاً رأسه نحو السماء-زاد بعضهم:- مشيراً بإصبعه السبابة إلى التوحيد، يرمق بعينه السماء وعند وضعه تدلت النجوم إلى الأرض فأضاءت أرجاءها. وهذا كله لا أصل له. وقد أغنى الله تعالى رسوله الكريم عن هذه الأكاذيب بشائه العاطر عليه في غير ما آية من كتابه العظيم، ويكفي قوله جل جلاله فيه: (وإنك لعلی خلق عظیم).

قال-البيت الرابع:-

وأناها في بيتها جبرائيلُ \* ولذي اللبِّ في الأمور ارتياءُ  
فأماطت عنها الخمار لتدري \* أهو وحي أم هو الإغـمَاء؟  
فاختفى عند كشفها الرأسَ جبر \* يلُ فما عاد أو أُعيد الغطاءُ  
فاستبان خـديجةً أنه الكنـ \* زُ الذي حاولته والكيماءُ

ومضمون هذه الأبيات:

اشتهر عند الفقهاء وهم يحتجون به على حظر كشف المرأة شعرها ولو في بيتها، وليس فيه دليل على ذلك علاوة على أن الأثر غير صحيح فقد ضعفه الحافظ ابن حجر في ترجمة خديجة من (الإصابة).

قوله- في البيت السادس:-

يا أبا القاسم الذي ضمن إقسا \* مي عليه مدح له وثناء

هذا البيت وما بعده معناها إقسامه -أي: توسله- على النبي غ:

- (١) بالعلوم التي من الله بها عليه.
  - (٢) وبعلي ابن أبي طالب.
  - (٣) وبالحسنين ريحاني النبي غ ، وقد بالغ الشاعر في مدحهما وأبيهما وآل البيت مبالغة تشم منه رائحة التشيع تزكم منها الأنوف.
  - (٤) وبالصحابة الكرام عموماً.
  - (٥) وبأبي بكر الصديق.
  - (٦) وعمر بن الخطاب.
  - (٧) وعثمان بن عفان.
  - (٨) وبباقي العشرة المبشرين بالجنة.
  - (٩) وبعميه غ.
  - (١٠) وبأم السبطين فاطمة الزهراء.
  - (١١) وبأزواجه غ ورضي عن الجميع.
- وقد ذكر الشاعر هؤلاء مع بعض أوصافهم وفضائلهم ومواقفهم بعد البيت السابق، وهو يتوسل بهم إلى النبي غ ليسأله.

قوله- البيت السابع:-

الأمانَ الأمانَ إن فؤادي \*\* من ذنوب أتيتها هباء

وقد سقط هنا على أم رأسه، وتورط فيما لا مخلص له منه إلا بتجديد الإيمان والتوبة، ولا ندري ما فعل الله به، فهو يسأل النبي غ أن يؤمنه من كل مخوف، وهذا بطبيعة الحال لا يسأل من مخلوق لأنه لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

وقد قال بعده-البيت الثامن:-

قد تمسكتُ من وداك بالحب \* ل الذي استمسكت به الشفعاء  
وأبى الله أن يمنيَّ السو \* ء بحال ولي إليـك (التجاء)  
قد رجوناك للأمور التي أب \* ردها في فؤادنا رمضاء  
وأتينا إليك أنضاء فقر \* حملتنا إلى الغنا أنضاء  
وانطوت في الصدور حاجة نفس \* ما لها عن ندى يدريك انطواء  
فأغشنا يا من هو الغوث والغيب \* ث إذا جهد الورى الأواء  
ثم قال بعد ثلاثة أبيات:

جُد لعاص وما سواي هو العا \* صي ولكن تكبري استحياء  
وتداركه بالعناية ما دا \* م له بالذمام منك ذماء

فتأمل-عافاك الله-هذه الأبيات وما انطوت عليه من شرك جلي، وغلو وبى، وقد حاول الشراح-كعادتهم-تأويل كلامه، وإمراره على الجادة، ولكن هيهات فإن الرجل كان صوفياً غالباً فطوح به تصوفه في مهامه الغلو والشرك، فتراه يسأل النبي ويتوسل إليه بصحابته وآل بيته أن يؤمنه من كل خوف في الدنيا والآخرة ويتوسل بجبل وداده زاعماً أن الله لا يمسه بسوء، وهو يلتجئ لا إلى الله وإنما إلى رسوله، والالتجاء كالأستعاذة والاستغاثة مما لا يليق إلا بالله تعالى، ثم لَجَّ في غلوه الممقوت، فَصَرَّحَ أنه يدعو غ لقضاء حوائجه التي انطوى عليها صدره ولا يجد لها مجيباً ولا قاضياً غيره. فناداه مستغيثاً: (فأغشنا يا من هو الغوث الخ). وهكذا نسي الرجل ربه. وجحد قوله: (إياك نعبد وإياك نستعين). (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن). (فلا تدعو مع الله أحداً). وقول رسوله غ: (... إذا استعنت فاستعن بالله).

ثم ارتكس في وحل غلوه فدعا النبي غ أن يجود عليه بالغفران، وأن يتداركه بعنايته، وقد ذكرني هذا الغلو برجلين وقعا في مثل هذا أحدهما: محمد زين العابدين البكري الصديقي المصري في (لاميته) الشهيرة التي يتغنى بها الصوفية في مجالس ذكرهم إلى الآن، ومنها هذه الأبيات فقارنوها بأبيات البوصيري:

فُلذ به في كل ما ترتجي \* فإنه المأمّن والمعقل  
وعُد به من كل ما تخش \* فهو الشفيع دائماً يقبل  
وحطّ أحمال الرجا عنده \* فإنه المرجع والموئل  
وناديه إن أزمة أنشبت \* أظفارها واستحکم المعضيل:  
يا أكرم الخلق على ربه \* وخير من فيهم به يُسأل  
قد مسني الكرب وكم مرة \* فرجت كرباً بعضه يُذهل  
ولن تر أعجز مني فما \* لشدة أقوى ولا أجمل  
فبالذي خصك بين الورى \* برتبة عنها العلا تنزل  
(عجل ياذهاب الذي اشتكي \* فإن توقفت فمن أسأل؟)  
فحيلتي ضاقت وصبري انقضى \* ولست أدري ما الذي أفعل

والرجل الثاني هو الشيخ محمد بن محمد الحراق التطواني. وله ديوان فيه شعر عربي موزون، وزجل مغربي ملحون، وهو في هذا الثاني أشعر منه في الأول، ومعظم شعره في وحدة الوجود والدعوة إليها ومحاولة شرحها وتقريبها للأفهام، وكذلك الاتحاد، وقد نظم قصيدة يمدح فيها النبي ويستغيث به ويدعوه من دون الله أن يفرج كربته، ويشفيه مما عرا جسمه من مرض. والغريب أن هذه القصيدة لُحنت ويغنى بها في الإذاعة في المناسبات، ومطلعها:

أحمد إني بجاهك عائد \* مما عرى جسمي من الضراء  
(ولقد دعوتك) حين جلت كربتي \* ولم ألف غيرك كاشفاً لبلائي  
والحال إن عظمت فلا يدعى لها \* إلا العظيم وأشرف الشرفاء

إلى آخر هذا الهراء المسموم الذي لا ينطق به من يعرف ربه، والجواب عليه قول الله تعالى: (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن). وقوله: (وأن المساجد لله فلا تدعو مع

الله أحداً). (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو). والآيات في هذا الموضوع كثيرة.

قال-البيت التاسع:-

يا نبي الهدى إغاثة ملهو \* في أضرت بحاله الحوباء

ثم قال-بعد أن بالغ في الشكوى والضراعة:-

هذه علي وأنت طيبي \* ليس يخفى في القلب داء

وهكذا بعد ما دعا النبي غ واستغاث به فيما لا يقدر عليه بشر ولا ملك ولا جن، وهو شفاؤه من أمراضه النفسانية، وعلله القلبية، ثم (زاد الطين بلةً، والطنبور نعمةً). فأفضى إلى النبي بذات صدره، وعلة قلبه، واصفاً إياه بأنه يعلم ما في الصدور. ولا يخفى عليه ما تكنه الأفتدة، وهذا من خصائص الربوبية فإنه سبحانه وحده العليم بذات الصدور، والمطلع على ما في الضمائر. ثم زاد إيغالاً في ضلاله فرعم أن شكواه إلى النبي غ ودعاه إياه أن يشفيه من شكاته هي الفوز العظيم. فقال-البيت العاشر:-

ومن الفوز أن أثبك شكوى \* هي شكوى إليك وهي اقتضاء

ثم قال-في البيت الحادي عشر-معتزلاً بأنه غال أن قلبه منطو على محض الغلو:-

ولقلبي فيك الغلو وأنى \* للساني في مدحك الغلواء

هذا وهو يعلم أن رسول الله غ هي أمته عن الغلو والإطراء، لما يفضي إليه من الكفر والإشراك، فقال: (لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم وإنما أنا عبده فقولوا عبداً لله ورسوله). (رواه البخاري). وقد فهم الشاعر هذا الحديث فهماً معكوساً فقال في (بردته):

دع ما ادعته النصارى في نبيهم \* واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

فلا غرو بعد ذلك أن يتجنب دعوى الربوبية فحسب، وله بعد ذلك أن يغلو ما يشاء فيسجل بيده في قصائده ما نجزم جزماً أنه المنكر العظيم. والبلاء الجسيم وإذا

علمنا أن النبي نهر الجارية التي كانت تغني بين يديه فقالت في غنائها: (وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال لها غ: دعي هذا وقولي ما كنت تقولين).

كما في (صحيح البخاري).

هذا وهي جارية صغيرة غير مكلفة، فليت شعري ماذا كان يقوله إذا سمع هذه الفضائح والترهات الموبقات، فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به كثيراً من خلقه، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً.

قال-البيت الثاني عشر:-

وكفته بنسجها عنكبوت\* ما كفته الحمامة الحصداء

وهذا رغم شهرته فإنه لا يصح وإسناده واهٍ وإنما صح من ذلك قول أبي بكرٍ للنبيِّ غ - كما في صحيح البخاري-: (لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لِأَبْصَرَنَا) فَقَالَ لَهُ غ: (مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بَاتْنَيْنِ اللَّهِ تَالِثُهُمَا). كما أنه غ لم يصب بأذى إلا أن حجراً أصاب يده-بأبي هو وأمي-فدميت فقال:

هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيَتْ\* وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيَتْ.

قال-البيت الثالث عشر:-

نقضوا مبرم الصحيفة إذ شد\* ت عليهم من العدا الأشداء

أذكرتنا بأكلها أكل منس\* اة سليمان الأرضة الحرساء

وبما أخبر النبي وكم أحد\* رج خبتاً له الغيوب خباء

وما تضمنته هذه الأبيات من خبر صحيفة المقاطعة أصله صحيح وما زيد منه من أكل الأرضة لها إلا اسم الجلالة، غير صحيح.

هذا ما استطعت إملاءه على هذه الأبيات من همزية البوصيري على سبيل  
الاختصار، وفيها ما يستحق النقد، ولكن ما ذكرنا أوغل منه في البطلان، وأدعى  
إلى التضييل والضلال، والله المسؤول أن يحفظ علينا إيماننا حتى نلقاه مؤمنين  
موحدين، ولا حول ولا قوة إلا به  
وهو الموفق لا رب غيره.

وكتبه صبيحة الثلاثاء شعبان (١٤٢٣هـ).

أبو أويس محمد بوخبزة

عفا الله عنه بمنه.

إلى هنا انتهى ما سطره يراع فضيلة شيخنا حفظه الله.